الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر - بسكـرة-



الـــماستر

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

الرحلة الصوفية في شعر ياسين بن عبيد

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص **أدب حديث و معاصر**

إعداد الطالبة:

- زينب قيداد

إشراف الدكتور :

جمال مباركي

السنـــة الجامعيــة :

1436هـ / 1437هـ

2015م / 2016م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكــرو عرفــان

بسم الله والحمد لله ، هو الرحمن ، علم القرآن ، ليكون حجة على العباد ، فمن بعُد عنه ضل وغوى ، ومن تمسك به هُدي إلى الصراط القويم .

والصلاة والسلام على خاتم المرسلين و سيد الخلق أجمعين محمد بن عبد الله وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، و أصحابه الغر الميامين وعلى علماء الدين الذين حملوا الرسالة وأدوا الأمانة و أرشدوا الأمة لما فيه من الخير و الهداية .

قبل تذوق ثمار هذا البحث نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مد لنا يد العون و المساعدة وشاركونا رعايته و أولهم :

الأستاذ المشرف الدكتور : "**جمال مباركي**" الذي عايش فترات إنجاز هذا البحث سواء بتوجيهاته الصائبة أو بنصائحه التي لم يبخل بها علينا .

كما لا ننسى أساتذتنا الكرام ممن كان لهم دور مهم في تقديم النصح و التوجيه لنا ، وإلى كل الزميلات والزملاء وعمال المكتبة بالكلية.

إلى كل هؤلاء نقدم جزيل الشكر وعظيم الامتنان.

مقـــدمة

مقدمة :

من الظواهر التي شاعت في شعرنا العربي المعاصر خلال عقوده الأخيرة لجوء شعرائنا إلى التراث ، وخاصة التراث الصوفي باعتباره تجربة نابعة من الإنسان أي أنها تجربة متميزة عن التجارب الأخرى ؛ ومن هذا فإن النص الصوفي مليء ببعض الألفاظ الغامضة من الرموز ومن ذلك يجد القارئ نفسه أمام خيار البحث عن المعنى وهذا للوصول إلى اللغة الصوفية الرمزية والتي هي الطريق النفسي للإبداع الفني في الأدب الصوفي باعتبارها ذوق وحال، وهذا ناتج عن التجربة الشعرية الصوفية التي تعد تجربة إبداعية في الشعر العربي المعاصر.

ولقد كان للرحلة الصوفية نصيب في القصيدة الصوفية الشعرية ، وهذا باعتبارها تمثل عنصرا هاما ثم شكلا خالصا ضمن دائرة منفتحة ، فقد كان ياسين بن عبيد من الشعراء الصوفيين الذين تناولوا موضوع التصوف من خلال الرحلة أو الطريق الذي كان يسلكه ،فكان عنوان بحثي موسوما ب " **الرحلة الصوفية في شعر ياسين بن عبيد** ".

وفي هذا المنحى فقد تبادرت في ذهني مجموعة من الأسئلة : ما التصوف ؟ نشأته وتطوره؟ وفيما تبرز دوافع وخصائص الرحلة الصوفية عند ياسين بن عبيد؟

أما بالنسبة للدافع نحو اختيار هذا الموضوع هو الرغبة في الغوص في التجربة الشعرية الصوفية المعاصرة التي توظف الرحلة الصوفية وخاصة شعر ياسين بن عبيد معتمدة على المنهج الوصفي تبعا لطبيعة الموضوع ومحللة العناصر التي تكون هذه الرحلة .

وقد وقع البحث في فصلين تسبقهما مقدمة وتليهما خاتمة وتفصيل ذلك فيما يأتي حيث جاء التمهيد تحت عنوان التجربة الصوفية في الشعر العربي المعاصر .

وجاء الفصل الأول معنونا بالتصوف نشأته وتطوره والذي تناولت فيه مفهوم التصوف لغة واصطلاحا ، وبعدها تطرقت إلى نشأة التصوف ثم يليه الأدب الصوفي وأخيرا أثر الفكر الصوفي في الشعر العربي المعاصر .

أما الفصل الثاني فحمل عنوان الارتحال الصوفي في شعر ياسين بن عبيد وهو الفصل التطبيقي في دراستي وقد أخذ مني الجهد الكبير وهذا من خلال غموض بعض الأبيات الشعرية ، وتناولت فيه بواعث الرحلة الصوفية وأبعادها وخصائصها الفنية .

أما فيما يخص أهم المصادر والمراجع المتناولة في هذا البحث أذكر منها : دواوين ياسين بن عبيد " أهديك أحزاني " وغنائية آخر التيه " و " معلقات على أستار الروح " بالإضافة إلى كتاب الصوفية والسريالية لأدونيس ،وكذلك الموسوعة الصوفية لعبد المنعم الحفني، والأدب في التراث الصوفي لعبد المنعم خفاجي .

وككل بحث لم يخل بحثي من صعوبات منها : ندرة الدراسات حول شعر الرحلة وخاصة ياسين بن عبيد رغم تعدد دواوينه ورغم تطرقي لبعض منها ، فإن دراسة التصوف والشعر الصوفي ليست بسهلة و إنما غامضة .

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور " **جمال مباركي** " الذي تتبع معي مسار هذا البحث حتى آخره ، وإلى كل من مد لي يد العون والمساعدة سواء أكان من قريب أو بعيد.

تمهيد

يشكل التصوف أحد التيارات الرئيسة في الحياة الروحية الإسلامية ، وقد ظهر منذ فجر الإسلام ، ولا يزال قائما حتى أيامنا هذه ، وهو يتميز بجملة من السمات أهمها :

التخلي عن العالم الدنيوي و الزهد فيه . أما بالنسبة للتجربة الصوفية العربية المعاصرة هي تجربة لغوية فريدة لها دور كبير حيث أدت إلى تغيير ما سار عليه القدامى و ذلك بالخروج عن المألوف ؛ فاللغة الصوفية لغة موحية لها دلالات متنوعة أي تختلف عن اللغة العادية.

وقد ارتبطت التجربة الصوفية بالشعر المعاصر ارتباطا كبيرا لدى كثير من الشعراء المعاصرين للتعبير عن أبعاد تجربتهم في جوانبها المختلفة ، حيث أنه لا يخفى على أي باحث في الشعر العربي المعاصر تلك الصلة الموجودة بينه والتجربة الصوفية .

كما اهتم الشعر العربي عبر سيرورته بعديد من الظواهر الفنية "(تراثية و حداثية) و من أهم هذه الظواهر التجربة الصوفية التي يعود سر الاهتمام بها لما يجمع بينها وبين التجربة الشعرية من علاقات و روابط متينة ، كما أن أغلب الدارسين للخطاب الصوفي يرون أن التصوف باعتباره أحد منجزات الفكر البشري تربطه بمختلف المعارف علاقات وطيدة فالنص الصوفي الشعري يتميز بصدق التجربة لكونها وليدة معاناة".[(1)]

كما يعد التراث الصوفي من أهم المصادر التي استخدمها الشاعر المعاصر كشخصيات و أصوات يعبر من خلالها عن أبعاد تجربته في جوانبها المختلفة : فكرية ،

[(1)]–ينظر: السعيد بوسقطة : الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر ، منشورات بوبة للبحوث والدراسات ، الجزائر،ط2 ،2008،ص137.

روحية ، سياسية ، اجتماعية ، و أنه كلما ازداد تعقد الحياة حول الأديب واشتد الابتذال في المحيط السياسي والاجتماعي و الثقافي ازداد إمعانا في التجربة الصوفية .[1]

وكذلك نجد الصوفي يرفض الواقع ويريد أن يذهب إلى عالم آخر منزه من كل النقائص التي تشوب واقعه المعيشي ، لذلك فإن " التجربة الصوفية تتضمن الرفض كأساس لها وكنقطة ابتداء ، ... فالصوفي منخلع عن عالم الواقع ، إذ يعيش و إياه لا في حالة مشتاقة وإنما في حالة قطيعة."[2]

وفي حالة توسع التجربة الصوفية في الشعر العربي المعاصر و اتجاه الشعراء إليها باعتبارها لوناً فنياً جديداً ، حيث أجادوا فيها أجمل ما قيل من القصائد ، فقد جذبت الصوفية أيضا أنظار " الشعراء المغاربة الذين تفطنوا لما تزخر به التجربة الصوفية من طاقات إبداعات فراحوا يغرفون من ينبوعها الفياض ".[3]

أما التجربة الشعرية الصوفية " فهي مجموعة من التجليات الوجدانية المؤيدة بأطوار روحانية يسلكها جملة من الشعراء الذين يجتازون مرحلة الزهد إلى مراحل تتدرج حتى تبلغ بهم مدارج السالكين الواصلين ."[4]

---

[1]–ينظر: السعيد بوسقطة : الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر ، ص184.

[2] – عبد القادر فيدوح : الرؤية والتأويل ، مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة ، دار الوصال ، ط1994،1،ص62.

[3] – عبد الحميد هيمة : الخطاب الصوفي وآليات التحويل ، موفم للنشر ، الجزائر،دط،2008،ص163.

[4] – عمر أحمد بوقرورة : دراسات في الشعر الجزائري المعاصر ، دار الهدى ، الجزائر،دط،2004،ص97.

وكما يحتاج الصوفي إلى الشعر ليصف رؤاه ، يحتاج الشاعر إلى التصوف ليرقى برؤيته الشعرية وليتحرر من اللغة الآلية إلى لغة رمزية محاولاً بذلك الإفلات من عالم المحسوسات إلى عالم المثل العليا و التلطيف من المادية الخشنة."[1]

وتتبع القصيدة الحديثة من أعماق الشاعر حين يتأثر بحدث ما ، فتأتي معبرة عن وجدانه وذاته وصدق التجربة مقترنة بمدى معايشة الشاعر لها و إدمانه فيها ملاحظة و استغراقاً ثم يبرزها عملا قائما بنفسه له كيانه و صفاته.[2]

ومن أبرز مظاهر التجربة الصوفية في الشعر العربي المعاصر في الحزن العميق الهادئ المتطور عن الحزن الرومانسي القديم.

كما نجد أن التجربة الصوفية ساهمت ببلوغ مرحلة التسامي ضد الصدمات العاطفية والغايات الذاتية والدخول في عالم التوحد مع موضوعه الجوهري الذي يتعامل معه في عوالم وعيه و لا وعيه.[3]

كما تقف التجربة الصوفية على عتبة اللاشعور لتتوغل فيه ، وتعد عملية التوغل هذه إلى أعمال الوجود ذاتية ، فما يشعر به المبدع أثناء عملية الإبداع ، ويتم التعبير عنه بلغة متقاربة ؛ فالصوفيون يستعملون لغة ذات قاموس خاص بينما

---

[1] –ينظر: عبد القادر فيدوح : الرؤيا والتأويل ، ص51.

[2] – محمد عبد المنعم خفاجي:مدارس النقدالأدبي الحديث ، الدار المصرية اللبنانية، مصر،القاهرة،ط2،2003،ص142.

[3] – سلام كاظم الأوسي : التجربة الصوفية "دراسة في الشعرية العربية المعاصرة"، كلية الآداب ، جامعة القادسية،ص102.

التجربة الفنية تستعمل لغة الإشارة و الإيحاء وتهدف كل من التجربتين إلى الكشف عن أسرار الواقع و التعرف على سر الوجود.[1]

إن التجربة الصوفية ليست مجرد تجربة في النظر وليست مذهبا دينيا ، و إنما هي تجربة في الكتابة ، لقد استخدم الصوفيون في كلامهم على الله والوجود و الإنسان ، الفن الشكل ، الأسلوب ، الرمز، المجاز ، الصورة ، الوزن ، القافية والقارئ يتذوق تجاربهم و يستشف أبعادها عبر فنيتها وهي مستعصية على القارئ الذي يدخل إليها معتمداً على ظاهرها اللفظي .[2]

وأهمية التصوف تتمثل في لحونه نزعة حدسية كشفية ؛ فهو من هذه الناحية وثيق الصلة بالفن في مفهومه الحديث .[3]

فقد حاول متصوفون من شتى الأديان شرح خبراتهم الصوفية في ثلاث أنماط أولها البحث المتواصل عن الله كما عُبر عنه بصور بلاغية عديدة كالتدرج و الارتقاء ، وثانيها ما عبر عنه بتربية النفس بالابتلاءات وتنقيتها بأنواع الآلام ، كما عُبر عنه بصورة من فن تنقية الذهن وغيره من فنون العلوم الطبيعية المشابهة ، وثالثها إشارات اقتبست من الحب الإنساني عُبر بها عن لوعة المحب وشوقه إلى التوحد ، وعلى الرغم من أن التجربة

---

[1]–ينظر: السعيد بوسقطة : الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر،ص143.

[2] – أدونيس : الصوفية والسريالية، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ،ط2،1995،ص23.

[3] –عدنان حسين العوادي: الشعر الصوفي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق،دط،1986،ص26.

الصوفية تشابهت أوصافها إلا أنه من الأفضل الفصل بين نمطين رئيسين منها : أولهما " صوفية اللاحدود" وثانيهما " صوفية استبطان الذات".[(1)]

والتجربة الصوفية وحالة الوجد التي يمر بها الصوفي تختلف وتتنوع من تصوف إلى آخر ، وهي بلا شك ترتبط بالشخص ذاته وبمدى درجة استعداده وتهذيب هذا الاستعداد و تطويعه و مواصلة السير في الطريق وقد ترتبط من جهة ثانية بظروف العصر الذي يعيش فيه الرجل الصوفي ذاته ، وقد تخضع هذه التجربة الصوفية لعقيدة الرجل.[(2)]

إن توظيف الخطاب الصوفي في الشعر المتمثل في إطلاق لقب (الشاعر الصوفي) إطلاقاً حقيقياً "**فابن الفارض**" مثلا امتزج مع الرؤية الصوفية وعبر عنها وتبناها ومن ثم أصبح شاعراً صوفياً ، ولذلك يقول "**جان شوفلي**": " عندما يصير الشاعر صوفيا فإنه يعبر عن تجربة ليست شاعرية فحسب ، أي أنه يعبر عن تجربة شعرية و صوفية في وقت واحد".[(3)]

التصوف يعتبر تجربة خاصة و ليست شيئا مشتركا بين الناس ، جميعا فلكل صوفي طريقة معينة في التعبير عن حالاته و مشاعره ومواجده ، وهذا ما قرره ابن خلدون حين عرض للتجربة الصوفية فأشار إلى صعوبة وضع تعريف شامل للتصوف فيقول : " فكل واحد منهم عبّر عما وجد وينطق بحسب مقامه".[(4)]

[(1)] –ينظر:آنا ماري شيمل، الابعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، منشورات الجمل ، ألمانيا، ط1،2006،ص09،08.

[(2)] –فيصل بديع عون: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت، مصر ،دط،1983،ص32.

[(3)] –ينظر : جان شوفليي :التصوف والمتصوفة، افريقيا الشرق،بيروت،لبنان،دط،1999،ص129.

[(4)] –سالم عبد الرازق سليمان المصري: شعر التصوف في الأندلس ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر ،دط،2007،ص24.

جاء في تعريف التصوف : "إن التصوف فلسفة حياة تهدف إلى الترقي بالنفس الإنسانية أخلاقيا و تتحقق بواسطة رياضيات عملية معينة تؤدي إلى الشعور في بعض الأحيان بالفناء في الحقيقة الأسمى و العرفان بها ذوقا لا عقلا وثمرتها السعادة الروحية ، ويصعب التعبير عن حقائقها بألفاظ اللغة العادية لأنها وجدانية الطابع وذاتية ، وعن هذا التعريف الشامل المبين لخصائص التصوف المختلفة و موضع لعدد من النقاط المهمة ومنها ذاتية التجربة الصوفية ، هدفها الترقي الأخلاقي عن طريق المجاهدات و السلوكيات ، المعرفة ذوقية عن طريق القلب لا العقل ".[1]

ومن النماذج الشعرية للتجربة الصوفية العربية المعاصرة نجد :

صلاح عبد الصبور الذي عاش تجربة معاناة وألم ،وإن هذه المعاناة تحيا جنبا إلى جنب مع تجربته ،ومن ذلك فإن صلاح عبد الصبور يرى أن التجربة الشعرية والتجربة الصوفية تتبعان من المنبع نفسه ومن هذا نجده يجسد لنا أبعاد الظاهرة الصوفية في قصيدة "الإله الصغير" حيث يقول :

كَانَ لِي يومًا إِلَهٌ ،ومَلاَذِي كَان بَيتُهُ

قَالَ لِي :إنَّ طَرِيْقَ الوَردِ وعْرٌ فَارتَقَيتُهَ

وَتَلَفتُ وَرائِي ، وَ ورَائِي مَا وَجَدتُهُ

ثُّم أصْغَيتُ لِصَوتِ الرِيحِ تَبْكِي ، فَبَكَيتُهُ

ذاتَ يَومٍ، كُنتُ أرْتادُ الصَحَارِى ، كُنتُ وحْدِي

---

[1] –سالم عبد الرازق سليمان،شعر التصوف في الأندلس،ص31.

حِينَ أبْصَرتُ إلَهِي ، أسْمُر الجَبهَةِ ،وَردِي

وَرقَصْنَا و إلَهِي للضُحَى ، خَدًا...لخَدٍ

ثُّم نِمنَا ، وإلَهِي بينَ أمْواجٍ ووردٍ

وإلَهِي كَانَ طِفلًا ،وأنَا طِفلاً عَبدْتُه

كلُ مَا فِي الرَّوضِ يَهواهُ ،ولَكنِّي امْتلَكتُهُ

كُلمَا نَغَم فِي الأيْكَةِ عُصفوٌر ،لَثمْتهُ

و إذًا ثَارتْ بِنا الأشْباحُ واللَّيلُ ،اعْتنَقتُهُ.[1]

وكذلك أدونيس من الشعراء المعاصرين حيث أنه دخل الصوفية وهذا من خلال تذوق تجاربها ،كما نجده استعمل الرمز على أنه الأساس في بنائه الشعري، حيث يرى أن الصوفي يكتب باللغة نفسها التي يكتب بها الناس جميعا ، ومن هذا قال أدونيس يقول :

رَجَجتُ كُلَّ ذَّرَّةٍ فِي كَوكَبِ الغَزالِي

رَفضتُ وانفَصَلتُ

لأنَّنِي أرِيدُ وصْلاً آخَر قَبوُلاً آخَر مِثلَ المَاءِ والهَواءِ

يَبتكرُ الإنْسانَ والَّسماءَ

يُغيُر اللَحمةَ والسَّراةِ والتَكوينَ كَأنَّهُ يَدخلُ مِن جَديدٍ

---

[1] -صلاح عبد الصبور :الناس في بلادي،دار العودة، بيروت،لبنان،ط1،1972،ص47،48.

فِي سَفرِ النَّشْأةِ والتَّكوِينِ .[1]

كما يعد مصطفى الغماري من الشعراء الجزائريين الذين عكس شعرهم التجربة الصوفية وقد تناولوا التصوف، فنجده يستعمل الرمز والإيحاء، وصوفيته في أغلبها كانت ثورة وصراعا ومن هذا يقول :

علَى زَمَنِ الدَعَاوَى.. كَم تَعاوَى

ذِئاَبٌ..تَملأُ الأَرْضَ الفَضَاءَ!

تُغنِي دَبكةً وتَعدُ أخْرَى

لِطَارئةٍ.. تُلمُ بِها فَجاءَ!

فلمْ أرَ أمَةً مِن قَبلُ دِيسَتْ

بمنْ كَادُوا ..فكَانُوا الأَوصِيَا

تَولُوا أمْرهَا زَمنًا فَهيضَتْ

وفَدوهَا..وهُم سَرقُوا الفِدَاء ![2]

ولدى عثمان لوصيف تجربة شعرية تعج بالرموز الصوفية ، يقول :

تِلكَ صُوفِيتِي أنَا أطَالِعُ في نُورٍ وجهكَ سِرُ الحَياةِ

وَسِرُ الغِوايَاتِ

---

[1] –أدونيس ،تحولات العاشق ،المجموعة الكاملة،ص144.

[2] –مصطفى الغماري ،بوح في موسم الأسرار ،لافوميك، الجزائر ،دط ، 1985،ص68.

وأنَا أتَوضَأُ فِي ظِل عَينيكِ .[1]

وكذلك في قوله :

أغَرقتَ هَذا الكَونِ فِي صُوفيتِي	فَيضًا لِفيضِ ...والهَوىَ إبْحارُ
ونَسختُ بِاسمِ الحُبِ كُلَ عبادةٍ	إلَّا الجَمالُ.. وصَحت يا قهَارُ
هذِي يَدِيَ بيضَاء هذِي خَمرتِي	للعَاشِقينَ.. وهذهِ الأزْهاُر .[2]

فهنا الحب عند لوصيف هو بدون سبب أصبح سنة أو مذهب في عرف الصوفية ،فلما عرفوا حب الله لهم أحبوه قاصدين بهذا الحب للتقرب من الله والتلذذ بالنظر إلى وجهه.

[1] –عثمان لوصيف :الإرهاصات ، دار هومة للنشر ، الجزائر ، دط ، ص17.16.

[2] –المصدر نفسه: ص44.

الفصل الأول : نشأة التصوف وتطوره

أولا : مفهوم التصوف .

أ – لغـــة .

ب – اصطلاحا .

ثانيا : نشأة التصوف .

ثالثا : الأدب الصوفي .

رابعا : أثر الفكر الصوفي في الشعر العربي المعاصر .

أولا– مفهوم التصوف :

أ– **لغة:**هو من جذر كلمة صوف :(ص.و.ف.) وهذا ما ورد في معجم لسان العرب لا بن منظور حيث يقول : الصوف للظأن وما أشبهه ، أما الجوهري : الصوف للشاة والصوفة أخص منه . وابن سيدة يقول : الصوف للغنم كالشعر للمعز و الوبر للإبل ، والجمع أصواف .[1]

كما جاء أيضا في قاموس المحيط : صاف الكبش صوفا و صووفا ؛ فهو صافٌ و صافٍ و أصوف و صائف و صوف كفَرِحَ ، فهو صوفٌ ، ككتفِ ، وصوفاني بالضم هي بهاء ، إذ كثر صوفه.[2]

وتطلق كلمة صوف في بعض دلالات استعماله بمعنى الميل و العدول ، ويقال : صاف السهم عن الهدف ، بمعنى مال عنه ، كما يقال أيضا : صاف الشر إذا عدل عنه.[3]

كما وردت الصوفية في كتاب أساس البلاغة للزمخشري : " نسبوا إليهم تشبيها بهم في النسك والتعبد أو إلى أهل الصُفة ، فقيل مكان الصوفية بقلب أحد الفاءين و اللتحفيف أو إلى الصوف الذي هو لباس العُباد و أهل الصوامع.[4]

---

[1]–ابن منظور :لسان العرب،دار صادر ، بيروت ،لبنان ،مج9، مادة (ص.و.ف) ، ص 199.

[2] –الفيروز آبادي : المحيط ، مؤسسة الرسالة ، ط8،2005،ص829.

[3] –صابر طعيمة : الصوفية ، كلية أصول الدين ، الرياض ، السعودية ، ط1،1985،ص19.

[4] – أبو القاسم جار الله بن أحمد الزمخشري ، أساس البلاغة ، تح محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ، ط1 ،ج1 ،1998،ص564.

ب-اصطلاحا :

لقد ورد مصطلح التصوف بمفاهيم متعددة ، لذا صعب علينا أن نعثر على مفهوم جامع للتصوف ، ومن هذا سنذكر أو نستعرض مجموعة من التعاريف ، وأغلب هذه التعاريف استقرت على أن التصوف هو : " العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها , و الزهد فيما يقبل عليه الجمهور على لذة و مال وجاه و الانفراد على الخلق في الخلود و العبادة"[1]

و كما عرف عن التصوف هو الاسترسال مع الله تعالى ,فهو عيش مع الله ولله وفي الله وبالله , وهو حفظ للأوقات و إسقاط للتدبير , و خوف من الله , و رجاء في الله , وهو سلب لأوصاف النفس المذمومة , و تحليها بالأوصاف المحمودة , و هو بعد كل ذلك تجريد للتوحيد , فلا ينتاب القلب خاطر شيطاني فيفسده , ولا هوى فيظلمه ، وهو كشف عن الخواطر , و كل ما يخطر على سر الصوفي , فيسترسل مع ما هو حق ويتجنب ما هو باطل .[2]

وقد قيل عن التصوف " أنه فلسفة المسلمين ، وهو علمهم في الأخلاق ."[3]

---

[1] -عمر فروخ : التصوف في الإسلام ،دار الكتاب العزي ، ط1،بيروت، لبنان ،1981، ص19.

[2] -حسن الشرقاوي : معجم ألفاظ الصوفية ، مؤسسة مختار ، القاهرة ، مصر ،دط ،1987،ص78.

[3] -عبد المنعم الحفني : الموسوعة الصوفية ، دار الرشاد ، ط1،1992،ص5.

وبالإضافة إلى ذلك فالتصوف هو التخلق بالأخلاق الإلهية ، بالوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً.[1]

ويرى ابن خلدون : " أن التصوف علم من العلوم الشرعية في الملة و أصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة و كبارها من الصحابة و التابعين ...فلما نشأ على الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية و المتصوفة ".[2]

كما نجد التصوف قد " عني بعزوف النفس عن الدنيا و العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله و الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها ، و الزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه و الانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ".[3]

والتصوف في حقيقته إيثار وتضحية ؛ تضحية باللذائذ و الشهوات ، و إيثار لما يبقى على ما يفنى ، تضحية بالعاجل و إيثار لآجل مجاهدة للنفس و مغالبة لأهوائها .

والتصوف هو روح لمجموع حقائق الإسلام من عبادة و إيمان ويقين و عرفان .[4]

"والتصوف معراج روحي في مقامات يستهدف غاية مخصوصة ، والصوفي الذي يبدأ رحلته بغية الوصول إلى المعرفة يدعو نفسه سالكا يتقدم في مقامات أشبه بالأودية والعقبات خلال طريق طويل ينتهي به إلى الفناء في الحق ".[5]

---

[1] –عبد المنعم الحفني : معجم مصطلحات الصوفية ، دار المسيرة ، بيروت ،لبنان ،ط2،1987،ص45.

[2] –ابن خلدون:المقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ أو الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1،1993،ص381.

[3] –الطاهر بونابي:التصوف في الجزائر ،دار الهدى،عين مليلة، الجزائر،ط1،2004،ص34.

[4] –علي أحمد عبد الهادي الخطيب : في رياض الأدب الصوفي،دار نهضة الشرق، الإسكندرية ،مصر،ط1،2001،ص08.

[5] –عرفان عبد الحميد فتاح:نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، دار الجيل،بيروت، لبنان،ط1،1993،ص142،141.

كذلك نجد التصوف هو رعاية حسن الأدب مع الله ، في الأعمال الباطنة والظاهرة بالوقوف عند حدوده مقدما الاهتمام بأفعال القلوب مراقبا خفاياها حريصا بذلك على النجاة.

ثانيا- نشأة التصوف :

التصوف هو علم الباطن و حقيقة الشريعة ؛ حيث أن هناك طائفة تقول : " أنه ظهر بعد الإسلام " و البعض الآخر يقول : "أنه ظهر قبل الإسلام" ، فلهذا اختلفت معانيه .

التصوف قد أصابه تطور سريع منذ ظهوره في بداية القرن الثالث هجري إلى أن وصل إلى أوجه في القرن السابع هجري ؛ بحيث بدا لنا في كل قرن و كأنه موضوع جديد له تمام الاستقلال عن صورته في القرن الذي سبقه ، فالتصوف في القرن السادس هجري مثلا بدا في صورة فلسفية بحتة تستمد عناصرها من الأفلاطونية الحديثة والغنوصية كما في حكمة الإشراق للسهروردي ، وهو في القرن الخامس هجري مزاج من الزهد الشديد علم الكلام و الفلسفة التي أخذت تتسرب إليه في إبانه و بلغت هذه أوجها على يد ابن سينا الذي كان في مرحلة من حياته صوفيا كاملا بنفسه ، وهكذا إذا تقدمنا في الزمان أو تأخرنا فيه وجدنا الطابع العام للتصوف في تغير مستمر خصوصا إذا بلغ الأمر بنا في القرون المتأخرة و العصر الحاضر حين فقد التصوف أصالته وصار في المشرق على الأقل مجموعة من الأفكار الساذجة مقرونة بمظاهر مادية يعدها الصوفية المحدثون كرامات و خوارق تتصل بصدق توجههم أو ثبات قدمهم في التصوف و صدورهم عن جوهره بوصفه الإنسانية الكاملة.[1]

فاستعمال لفظة صوفي لم تنتشر في الإسلام إلا في القرن الثاني وما بعده ، أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة و إنما اشتهر التكلم به بعد ذلك.

---

[1] -محمد عباسة : مجلة حوليات التراث،كلية الأدب والفنون ،جامعة مستغانم ،الجزائر،ع10،ص98،97.

وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة و الشيوخ كالإمام ابن حنبل و أبي سليمان الدارني و غيرهما .[1]

وإن من الصعوبات التي تواجه الباحث هنا في تحديده للفظ " تصوف " و " صوفية " وبحثه عن الأصل الذي نشأ عنه هذا المصطلح أو ذاك تضارب الآراء وتناقضها من هذا الموضوع ، ذلك أن التصوف الإسلامي كظاهرة إنسانية تأثر و أثر ، أفاد من الثقافات السابقة عليه وأثر فيمن جاء بعده من متصوفة وعلماء لاهوت ، وهذا التأثير و التأثر يضاف إليه بطبيعة الحال عنصراً أساسيا وهو الدين الإسلامي نفسه ، وهناك من القائلين يرد مصطلح التصوف إلى عوامل إسلامية وهناك من يرده إلى ثقافات أجنبية .[2]

أما التصوف فقد نشأ و ترعرع في صفوف طائفة من المتعبدين و المتزهدين الذين خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئا واتصفوا بشيء من الغفلة أو السذاجة أحياناً مع بعض الجهل في السنن و الآثار وإن كانوا في الجملة محبين للخير راغبين فيما عند الله تعالى ، مع خطئهم في سلوك المنهج والسبيل ن وفي تطبيق شرع الله تعالى .[3]

أما بالنسبة لمبدأ نشأة التصوف فإنه محل خلاف بين العلماء و المؤرخين بل حتى بين المتصوفين المنتسبين ؛ فمنهم من كتب في تاريخ التصوف وفكره ، قديما وحديثا ، فاختلفوا في مبدئهم من الناحية التاريخية وكذلك في مكان نشأتهم وكان سبب اختلافهم أن الصوفية

---

[1] –ينظر : ماسينيون و مصطفى عبد الرزاق: التصوف،مكتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان ، ط1،1984،ص54،55.

[2] –ينظر :المرجع السابق :فيصل بديع عون،التصوف الإسلامي الطريق والرجال ، ص42،43.

[3] –فلاح بن اسماعيل بن أحمد : العلاقة بين التشيع والتصوف ،رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية الدكتوراه شعبة العقيدة عبد الله بن محمد الغنيمان ، قسم الدراسات العليا ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية السعودية ،1411هـ ،ص86.

في مبدئهم أنهم كانوا ينتشرون هنا وهناك في أطراف البلاد الإسلامية لا تربطهم رابطة ولا تجمعه ضوابط سلوكية ولا أخلاقية .[1]

وكما نجد التصوف قد انتقل من فارس إلى بغداد عاصمة الفكر في ذلك الوقت وقبله كل عظيم ، حيث أرسى قواعد وحط رحاله عند جماعة من العلماء و الأدباء فأعلنوا سلطة التبين له واحتضنوه بروحهم لا بأجسادهم ، كما سار به الحال إلى بقاع الأمة الإسلامية حتى يسيطر على عقول المسلمين ردحا من الزمن قارب الألف سنة حيث أنه العصر الذي بلغ فيه التصوف أوجه واكتمل نموه ، والعصر الذي شهد الأعلام الأئمة الكبار الذين يدين لهم التصوف بخطوطه العريضة .[2]

" والتصوف معروف في كل الحضارات و الأديان منذ قديم الزمان ، وتستخدم كلمة صوفية في اللغات الأوربية للدلالة على الصوفية بوجه عام ، أما كلمة تصوف فهي كلمة حديثة استخدمت أول مرة في ألمانيا سنة 1821 كما يقول إدريس شاه ، وقد شهد القرن العشرون عودة الاهتمام بالصوفية في الغرب لأسباب تتعلق بالغرب نفسه ".[3]

وأول ظهور للتصوف كان في اليونان القديمة ومن قبلها الهند وبلاد فارس ومن قبلهم جميعا مصر القديمة ، وكذلك في سائر الديانات حيث أنه بدأ مع البواكير الأولى للحضارة العربية الإسلامية وامتد معها حتى يومنا هذا .[1]

---

[1] –فلاح بن اسماعيل بن أحمد: العلاقة بين التشيع والتصوف،ص87.

[2] –ينظر :كارل بروكل مان : تاريخ الأدب العربي ،ترجمة أحمد فهمي حجازي،الهيئة المصرية،دط،1993،ص449.

[3] –إبراهيم محمد منصور : الشعر والتصوف"الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر،دار الأمين،دط،1995،ص21.

[1] –ينظر :يوسف زيدان:المتواليات دراسة في التصوف ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ،مصر، ط1،1998،ص7.

ثالثا-الأدب الصوفي :

لقد كان للصوفية أدب غزير شعر أو نثر ينطق بما تنطوي عليه سرائرهم ، وتخفيه ضمائرهم

ويشف عن حكمة بالغة ، وفهم واسع وعقل راجح وخيال خصب ، فلقد جاء أدبهم نتاج قرائح صافية و قلوب واعية واشراقات إلهية ميزته عن سائر المدارس الأدبية وذلك لعنايته الفائقة بالرمز و الغموض والإشارة ، وقد كانت له ألفاظه الخاصة به و أساليبه وتناوله

للمعاني والأفكار بطريقة تتدفق عن قرائح بقية الشعراء ، فيقد تناولوا أغراض الحب الإلهي والحنين والوجد والبقاء والغناء ووصف الخمر والغزل الإلهي والزهد بصورة لا يفهمها إلا من سلك طريقهم ونهل من مشاريعهم فجاء أدبهم شعره ونثره طابع خاص جعله ذا سمات تحدد معالمه وتبين رسومه بحيث لا يخفى على الأديب أن يميز بينه وبين غيره من ألوان الأدب.[1]

والرمز هو الأساس الذي يقوم عليه الأدب الصوفي و**للشريف الرضي** كثير من الشعر الرمزي و شعر **ابن خفاجة الأندلسي** كذلك مديح بالرمزية ولشهرة الصوفيين بالغموض عاب الثعالبي ما في شعره من غموض وأرجع ذلك إلى استعمال ألفاظ المتصوفة وإلى استعمال كلماتهم المعقدة .[2]

إن الأدب الصوفي أدب إسلامي رفيع على اعتبار اختلاف طبقات الصوفية ومجاله واسع في النثر والشعر ، وباع طويل في كل أغراض الأدب ومنزلة عالية في التجديد في معاني الأدب و أخيلته وأساليبه ، ويحتوي الأدب الصوفي على عاطفة صادقة ، وتجربة عميقة .

وطالما كانوا يحافظون في شعرهم على الوحدة العضوية و على الفكرة و المضمون مع الاهتمام بالصورة وبالشكل .[1]

---

[1] –علي الخطيب : اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي ، دار المعارف، القاهرة، مصر ، دط،ص85.

[2] –ينظر : المرجع نفسه:ص14.

[1] –ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي نقلا عن أحمد أمين : الأدب في التراث الصوفي ، مكتبة غريب ، القاهرة، مصر دط،ص63.

يقول الأستاذ أحمد أمين :" متحدثا عن الأدب الصوفي باعتباره :"أدب غني في شعره غني في فلسفته ، شعره من أغنى ضروب الشعر وأرقاها ، وهو سلس واضح وإن غمض أحيانا ، وفلسفته من أعمق أنواع الفلسفة الإلهية وأدقها ، ومعانيه في نهاية السمو تقرؤها فتحسب أنك تقرأ معاني رقيقة عارية لا ثوب لها من الألفاظ ، خياله رائع يسبح بك في عالم كله جمال وعواطف صادقة يعرضها عليك كأنها كتاب إلهي تقلبه أنامل الملائكة يقدس الشعراء فيه الحب ولابد أن يكون الإنسان هائما أيضا مسلحا بكثير من الأذواق و المواجيد والحالات التي يعتقدها المتصوفة حتى يسايرهم في الفهم" .[2]

وتعتبر رابعة العدوية هي أول من دعا إلى حب الله لذاته لا لرغبة في الجنة ولا لخوف من النار .

أما النثر الصوفي الذي أثر عن الصوفية متعدد الجوانب ، مختلف الألوان من رثاء ونصائح ووصايا ودعوة إلى الزهد في الدنيا وأدب المناجاة هو الأدب الذي أنشأه الصوفية في مناجاة الله عز وجل والحديث إليه وهو أدب بليغ وهو الطابع الذي ميز الحلاج عن غيره حيث كان نثره كله أو جله مناجاة ، لقد جاء كتابه بأكمله تحت هذا العنوان : أخبار الحلاج أو مناجيات الحلاج وهو من قدم الأصول التي كتبت عنه .[1]

وللصوفية أدب رقيق فياض ، صيغ بأسلوب استخدمت فيه ألفاظ صوفية فيقول زكي مبارك:

"لا بد من الاعتراف بأن الصوفية كان لهم وجود أدبي ملحوظ ، وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد عرفت عنهم ألفاظ وتعابير دوّنها المؤلفون ، وتلك الألفاظ والتعبيرات هي ثروة

---

[2] –المرجع نفسه:ص73.

[1] –ينظر : علي الخطيب : اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وبن عربي،ص247.

لغوية يقام لها وزن حين تدرس المصطلحات ، وقد يقال : إن لكل قوم ألفاظا وتعابير حتى النجارين والحدادين ولا يكون ذلك عنوانا على سلطتهم الأدبية ، ونجيب بأن ألفاظ الصوفية جرت في الأغلب حول معان وجدانية وروحية ونفسية واجتماعية فهي ألصق بالحياة الأدبية".[2]

والأدب الصوفي هو أدب الصوفيين الذين دونوه وخلدوه في آثارهم شعرا ونثرا وحكمة ونصيحة وموعظة ومثلا وعبرة ويحتوي على عاطفة صادقة وتجربة عميقة ، وقد تناولوا في آدابهم الكثير من دقائق الحكمة والتجربة والفكر والمعاني والأخيلة وأعمق مشاعر الإنسان ، وحفل أدبهم بروائع المناجاة والحب الإلهي .[3]

إن الأدب الصوفي كله شعره ونثره يتجه هذا الاتجاه ، حيث الدعوة إلى الإصلاح والتربية وإعلاء شأن العقل الإنساني إلى أسمى مراتبه حتى امتزاجه بالنقل في أرقى منزلته وإن أول ما يسعى إليه في أدبهم هو تبيان سبيلهم وإجلاء الغموض الذي قد يكتنف نهجهم.

---

[2] –حلمي عبدالله حسين عدوي: ألفاظ المتصوفة دراسة دلالية في أعمال ابن عربي النثرية و الشعرية،مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية،أ يحي جبر ،قسم اللغة العربية ،جامعة النجاح الوطنية ،ص11.

[3] –محمد عباسة:مجلة حولية التراث،ص59.

رابعا –أثر الفكر الصوفي في الشعر العربي المعاصر :

إن التصوف باعتباره فكراً أصبح لديه مكانة عالية في تاريخ الشعر العربي المعاصر وخاصة في التراث وهذا من خلال التمثيل به .

والأثر الذي تركته هذه التجربة الصوفية في شعرنا العربي المعاصر هي كونها " أول من أشار إلى أن التجربة الروحية شبيهة بالرحلة حيث في سعيها وراء الحقيقة سفرا مضنيا

مليئا بالمفاجآت والمخاوف في طريق موحش طويل ، قد ينتهي بسالكه إلى النهاية السعيدة".[1]

وإن **أدونيس** استخدم الرمز الصوفي وهذا لارتباطه بالتراث لأنه " يصطنع لنفسه لغة خاصة لا يعرفها غير أصحابها ولا يفك رموزها إلا عارفوها ، وهو يتعامل مع الرموز الصوفية بطريقته الخاصة ، لأنه يضعها في مدارات خاصة به ، فالصوفي مصدر فيض نوراني وهو الذي يمنح الضوء كي يتمكن من رؤية الأشياء التي لا يراها الإنسان العادي".[2]

وإن تأثير النصوص الصوفية بعضها في بعض لا يخفى،وهذا أمر مفهوم من المتوقع أن يتوارث المتصوفة بعض التقنيات الأدبية ، وقد التزم المتصوفة كذلك رموزا معينة كرمز الخمر ورموز الحروف ، إلا أن الصوفية قد اعتادوا أيضا على استعمال الشخصيات الصوفية نفسها رموزا .[3]

ويعد أدونيس أكبر شاعر معاصر استفاد من تراث الصوفية وتأثر به ، فنجده وظف الرمز الصوفي في قصيدة " تحولات العاشق " والتي يقول فيها :

أَيُّهَا الجَسَدُ انْقَبِضْ وانْبَسِط واظْهَر واخْتَفِي

فَانْقَبَضَ وانْبَسَطَ وظَهَرَ واخْتفَى.[1]

---

[1] –صلاح عبد الصبور : حياتي في الشعر، مج3،دار العودة،بيروت،لبنان،دط،1977،ص24.

[2] –عدنان حسين قاسم:الإبداع ومصادره الثقافية والفنية عند آدونيس، الدار العالمية، القاهرة،مصر ،دط،ص245.

[3] –ابراهيم محمد منصور : الشعر والتصوف "الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر،ص29.

[1] – أدونيس: تحولات العاشق، ص144.

واللافت أنه يوجد تداخلات بين نصوص النفري ونصوص أدونيس من خلال الاقتباسات فإن أدونيس لا يخفي إعجابه بالنفري واهتمامه به وقد كتب عنه وأشار إلى أهميته مرارا ، ومن هذا النفري يقول :

أَوْقَفَنِي فِي نُورْ وَقَالَ لِي .

يَا نُورُ اِنْقَبِضْ وَانْبَسِطْ وَانْطَوِ وَانْتَشِرْ

فَانْقَبَضَ وَانْبَسَطَ وَانْتَشَرَ وَخَفِيَ وَظَهَرَ .[2]

فنجد تشابه بين الألفاظ التي استعملها النفري والتي استعملها أدونيس.

يعد الحزن من أهم الركائز في التجربة الشعرية لصلاح عبد الصبور حيث يعرض لنا قصيدة " الحزن " والتي يقول فيها :

يَا صَاحِبِي ، إِنِّي حَزِينْ

طَلَعَ الصَّبَاحُ ، فَمَا ابْتَسَمْتَ وَلَمْ يُنِرْ وَجْهِي الصَبَاحَ

وَخَرَجْتُ مِنْ جَوْفِ الْمَدِينَةِ أَطْلُبُ الرِّزْقَ المُتَاحَ

وَغَمَسْتُ فِي مَاءِ القَنَاعَةِ خُبْزَ أَيَّامِي الكِفَافَ

وَرَجَعْتُ بَعْدَ الظُّهْرِ فِي جَيْبِي قُرُوشُ

فَشَرَبْتُ شَايًا فِي الطَّرِيقِ

وَرَتَقْتُ نَعْلِي

---

[2] –النفري : المواقف، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، دط،1934،ص72.

وَلَعِبْتُ بِالنَّرْدِ المُوَزَّعِ بَيْنَ كَفِّيْ وَالصَدِيقُ

قُلْ سَاعَةَ أَوْ سَاعَتَيْن

قُلْ عَشَرَةَ أَوْ عَشْرَتَيْنْ .[1]

وقد استعمل عبد الصبور في قصيدته " مذكرات الصوفي بشر الحافي " شخصية صوفية والتي تمثلت في أبو نصر ، وبشر بن الحارث اللتان استلهمهما من التاريخ ويقول :

شيخي " بسام الدين" يقول:

يَا بَشَر... اصْبِرْ

دُنْيَانَا أَجْمَلُ مِمَّا تَذْكُرْ

هَا أَنْتَ تَرَى الدُّنْيَا مِنْ قِمَّةِ وَجْدِكَ

لَا تُبْصِرْ إِلَّا الأَنْقَاض السَّوْدَاءُ

وَنَزَلْنَا نَحْوَ السُّوقِ أَنَا وَالشَّيْخُ

كَانَ الإِنْسَانُ الأَفْعَى يَجْهَدُ أَنْ يَلْتفَ عَلَى الإِنْسَانِ

فَمَشَى مِنْ بَيْنِهِمَا الإِنْسَانُ الثَّعْلَبُ

عَجَبًا...

---

[1] ـصلاح عبد الصبور،الناس في بلادي ،ص36.

ويقول :

وَاهْتَزَّ السُّوقُ بِخُطُوَاتِ الإِنْسَانِ الفَهْدِ

قَدْ جَاءَ لِيُبْقِرَ بَطْنَ الإِنْسَانِ الكَلْبِ

وَيَمُصُ نُخَاعَ الإِنْسَانِ الثَّعْلَبِ

يَا شَيْخِي بَسَامُ الدِّينَ.[1]

أما الفكر الصوفي الذي يحمل سمات تتعارض مع كثير من المذاهب التي ظلت تلازمه العداء ، فإنه ظل يواجه تلك العقبات إلى يومنا هذا ، وقد استفاد من تلك المعارك والمواجهات الفكرية مما حدا به إلى أن أسس لنفسه صرحا لا تطاله ألسنة المتزمتين ممن نصبوا العداء له مذ كان ممارسة سلوكية .

والرمز الصوفي المعاصر هو رمز شعري مشاع يحمل مخزونه المعرفي و الفلسفي متنقلا في كل الفضاءات والتجارب الشعرية ، وبقدر ما يرتبط بالتجربة الصوفية يرتبط بالتجربة الشعرية ، وهذه الخاصية الجديدة للرمز الصوفي كانت من ابداع الشعراء المعاصرين الذين عمدوا إلى كسر القوانين وهدمها ، ومن الصعب القول بأن التجارب الشعرية المعاصرة هي تجارب صوفية بحتة .[1]

[1] – صلاح عبد الصبور: الناس في بلادي،ص168،267.

[1] –محمد كعوان:التأويل وخطاب الرمز قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر،دار بهاء الدين،قسنطينة،الجزائر ،ط1،2010،ص513،188.

الفصل الثاني: الارتحال الصوفي في شعر ياسين بن عبيد

أولا : دوافع الرحلة الصوفية .

1-الشعور بالغربة .

2-الحنين.

3-الحزن.

ثانيا : أبعاد الرحلة الصوفية في شعر ياسين بن عبيد.

1-البعد الزماني .

2-البعد المكاني.

ثالثا : الخصائص الأسلوبية لشعر الرحلة الصوفية.

1-اللغة : أ-اللفظ . **ب**-التركيب .

2-الصورة .

3-الموسيقى.

الرحلة في الأدب عامة و الشعر خاصة قد شغلت مساحة واسعة وأهمية كبيرة وظفها كثير من الشعراء والأدباء ، فالرحلة لا تعني غير الانتقال والحركة وهذا الانتقال وهذه الحركة لا تختص بالجانب الجسدي فحسب و إنما قد يكون ارتحالاً روحياً حيث عالم الطهارة و النقاء والصفاء .

أولا–دوافع الرحلة الصوفية:

من الفنون التي أبدع فيها العرب فن الرحلات و تسجيلها ؛ فالرحلات تعددت بتعدد أهدافها ووسائلها ، فالرحلة هي الانتقال من مكان إلى آخر وهي التي يحكي فيها الرحالة أحداث سفرهم و ما شاهدوه من أحداث مازجين انطباعاتهم الذاتية ، فالرحلة إذن تمثل منزلة رفيعة في الأدب العربي .[1]

وقبل دارستنا للرحلة الصوفية في شعر ياسين بن عبيد يجدر بنا معرفة البواعث و الأسباب التي دفعت ياسين بن عبيد إلى الترحال و تحمل مشاق السفر وكذلك الحزن و الألم الذي عانى منهما ، وإن الأسباب والبواعث التي حملته على اللجوء إلى الارتحال الروحي أن الشاعر لديه أحلام و طموحات وقيم يريد تحقيقها ، ومن هذه الأسباب نجد : الشعور بالغربة و الشوق والحزن و الحنين و السفر و الهجرة و البعد عن هذا العالم المتكلس الجامد الذي ذوت فيه قيم الطهارة والعدل وإنسانية الإنسان.

---

[1]–ينظر: منتصر عبد القادر الغضفري: الرحلة في شعر المتنبي، دار مجدلاوي ، عمان الأردن،ط1،2012،ص17.

1-الشعور بالغربة :

الغربة ظاهرة قديمة جديدة ، حيث أنها تمثل أكبر مشكل لدى الإنسان فالاغتراب نمط من التجربة يعيشه الإنسان المغترب من خلال إحساسه بالتشيؤ والمادية وفقدان القيم ، أو لإحساسه بغياب قيم يؤمن بها .

وهذه الغربة هي التي تجعل الشاعر يعاني و يشعر بالوحدة من خلال حنينه إلى الشرب من منابع القيم الأصيلة و هذا من خلال الطريق أو الرحلة التي اتبعها في أشعاره في قوله :

أَشَرِبَت حُزنَك شَلاَلاً مَنَابِعُهُ   يَومَ اِختَفَينَا اِغتِرَابُ والمَدَىَ صَخَبُ[1]

فهنا الشاعر يتحدث عن الحزن الذي انتابه نتيجة واقعه المرير الفاقد لقيم العدل والأصالة ، وهذا يدل على أن الشلال رمز للتدفق و الحياة ليبين طول الغربة ومدى شوقه لعالم الطهارة ومنابع النقاء :

ونجده كذلك يقول :

أُلاَحِقُ سِربًا تَدفَقَ مِنِي   ولَوَّحَ لِي طَالِعًا مِن هَجِيرْ

يُغَنِي : "بِلاَدِي سَعِينِي بِجُرحِي   فَإِن ضِقْت لَم يَتسِع بِي المَصِيرْ "[2]

يدل هذا البيت على أن السرب كأنه طالع أو آت من هجير القحالة الروحية وحيدا وقسوة حرارة الهاجرة و شدتها ؛ فهذا دال على تجربة الشاعر

---

[1] –ياسين بن عبيد : غنائية آخر التيه،منشورات ارستيستيك،الجزائر،ط1، 2007،ص102.

[2] –ياسين بن عبيد : معلقة على أستار الروح ،منشورات دار الكتاب ، الجزائر، دط،2003،ص23.

التي اعتمدها عن طريق رحلته و شعوره بالغربة وذلك عن طريق حنينه لمنابع الإسلام التي تترقرق بالحُنُوِّ والرأفة والرحمة .

2-**الحنين** :

الحنين هو الشوق و العاطفة إلى ما مضى أو إلى شيء مفقود وهو الإحساس الذي من خلاله أي شاعر أن يعتمده في شعره ويتمثل ذلك في قول بن عبيد :

مِنْ هُنَا مَرّت القَوافِل عَطْشَى فَوقَهَا ظِلُهَا وسِربُ أَمَانِ

مَا حَدَاهَا الحَنِينُ لَوْلاَي.. لَكِن مَا دَهَاهَا مِنَ الغُرُوبِ دَهَانِي[1]

ويعني في هذا أن سبب رحلته هو الحنين واعتماده على القوافل الدالة على رحلته و الحنين إليها حيث نجده شبه نفسه بالقوافل التي يعتبرها مثله تشتاق و تحن .

وفي قوله أيضا :

غَنِ الجِرَاح وقُلْ يَا قَلبِي أَتْعَبْنِي ظِلٌ تَخَللَتُه ..أُصْغِي لِشَكْواكِ

زَادِي الحَنِين دَعِينِي أَكْتَمِل سَفَرِي فِي قِدكِ المَرمَرِي .. فِي سِنِكِ الذَاكِي[2]

فهنا يدل حنينه إلى امرأة لم تدع له مجال للرحيل وهذا عن طريق تخيله ووصفه لها.

---

(1) –ياسين بن عبيد: غنائية آخر التيه،ص89.

(2) –المصدر نفسه:ص96.

وهذه كلها رحلة روحية إلى عوالم الطهارة والنقاء ، لا وجود فيها لوطن معين فالشاعر إسلامي يؤمن بالقيم الإسلامية السمحة المفقودة في عالمنا المعاصر.

3-الحزن:

فالحزن كذلك هو سبب من الأسباب التي دفعته إلى الارتحال ؛ إذ هو تغير حالة الإنسان أي غير مزاجه من الحسن إلى السيئ ، وهذا نجده في قوله :

لِحُزنِك أَحْزَان تَطُولُ وتَنتَقِي   مَرَاسِي أَطْيَاب الهوَىَ و التَعَلَقْ[1]

وهذا يدل على سبب تعلقه التي أدت إلى حزنه الطويل مما جعله دائم الحزن على عقيدته الإسلامية التي غابت قيمها في عالمنا المادي المتشيأ الذي أصبح فيه الإنسان مجرد رقم أو شيء من الأشياء الجامدة التي لا إحساس لها التي ارتحلت وسافرت وتركته .

وكذلك في قوله أيضا :

مَا الذِي تَأْخُذ المَسَافَةُ مِنِي   عِندمَاَ تنطَوِي العَوالِمُ فِيَّا

عِندَمَا تَسكُبُ القَصَائِدُ شَكِي   ويَقِينِي وحُزنِي الأَبَدِيَّا

هَذِه .. هَذِه الكَآبَة نَايِي   ونَشِيدِي ومَا تَبَقَى لَدَيَّا[2]

---

(1) –ياسين بن عبيد : غنائية آخر التيه،ص75.

(2) –ياسين بن عبيد: معلقات على أستار الروح،ص24.

وتعتبر الكآبة هي السبب الوحيد التي أدت إلى حزنه وأنها أصبحت تعيش معه ، حيث أصبح الفرح و الحزن مثل بعضهما البعض على حد سواء فالكآبة كأنها فرح عنده والتي تعبر عن حزنه وألمه.

ثانيا-أبعاد الرحلة الصوفية في شعر ياسين بن عبيد:

قبل البدء يجدر بنا الإشارة إلى البعد في الرحلة و هذا عن طريق محدوديتها و عمقها ومن هذا تجسد بعدين من خلال رحلة بن عبيد في شعره والتي تمثلت في البعدين الزماني والمكاني .[1]

1-البعد الزماني:

الزمن من أهم الأبعاد التي اتخذها بن عبيد في رحلته من خلال هجرته إلى الله وعدم استقراره ، وهذا بارتباط الزمان بالتغير و الحركة ، فالزمان يقسم إلى الماضي.

أ-الزمن:

الزمن ليس معلما و إنما يعتمد على الزمن الروحي ، فإن زمن رحيل أي شاعر يذكره من خلال رحلته وهذا عن طريق الإشارة إليه في شعره الذي يوحي له ويدل عليه.

وهذا نجده في قوله:

بَينِي وبَيَنكَ أحْزَانٌ وأزْمِنَة   طُولىَ إذَا اخْتَصَرَتْني كُنْت إيَاكَ

أوْ كُنْت أَنْت أنَا طَيَفًا توُحِدُه   أَشْتَأُته.. مِنْ بَعِيدِ العُمْرِ لَبَاكِ

آتٍ مِنَ الزَمَن الغَيمَى مَنَابِعُه   مِن نَبْضِ قَافِيةٍ.. مِن دَربِ أُشواكِ

---

[1] -منتصر عبد القادر الغضفري: الرحلة في شعر المتنبي،ص188.

آتٍ.. سَأَحْمِلُ أيَامِي عَلى كَتِفِي   وفِي يدِي الحُلمِ يَطوِينِي لمَغنَاكِ[1]

في هذه الأبيات الشاعر هنا يتحدث عن الزمن الاتصال بالله و عن لحظات العشق بين المعشوق وعن مرارة ومعاناة الحياة التي يعيشها عن طريق طول الزمن الذي أصبح شبه متوقف ، حيث أصبح الزمن هو السبب في معاناة هذا الشاعر باعتباره هو الوسيلة الوحيدة للتعبير عن رحلته التي عانى منها باعتباره زمن روحي و كذلك في قوله :

وفِي يدِي تَعرَى نَبضُ أغْنِية   هَمسًا و كَان صَدَى الحَلاَج غَطَانِي

لاَ السَّاكِناتُ جُفونُ الفَجرِ مِن زَمنِ أسْعَفتنِي مِن غُيومِي..لاَ الضُّحَى القافي[2]

حيث تطرق في هذا البيت إلى الزمن و يتمثل ذلك في الهدوء و السكينة التي أدت بالشاعر إلى الترحال ، فأسعفته إلى الكآبة أي أخرجته منها في الليل قبل بزوغ الضحى.

إنه يتحدث عن عالم صوفي نقي تسمو فيه قيم الإنسانية الحية عن قيم الجمود والتحجر الذي أصاب الإنسان المعاصر.

وفي قوله أيضا :

---

[1] – ياسين بن عبيد غنائية آخر التيه ،ص97.

[2] –ياسين بن عبيد : أهديك أحزاني، المطبوعات الجميلة ، الجزائر،ط1،1998،ص24.

أَبْحرَتُ فِي سَنواتِي الخُضِر مُرتَدِيًا أَقْمَارِكِ البِيضَ إِبْحاَرَ النَّدَى العَبِقِ[1]

ويعني بهذا أنه سافر سالما بدون عوائق تعرقل سفره من خلال السنوات التي كان يعمها الأمن والسلام ، أي لا توجد حروب فهو يرمز للسنوات من خلال سرعة الأيام التي مرت، واللون الأخضر في الإسلام يرمز إلى الإيمان بالقيم الإسلامية النبيلة، فالأبيض يدل على البعث والحياة والحضور الأبدي للروح بعد الموت .

[1] –ياسين بن عبيد: أهديك أحزاني،ص29

2-**البعد المكاني** : يعد المكان بقعة أو مساحة من الأرض ، حيث اتخذه بن عبيد في رحلته باعتبار المكان هو وصف طبيعي في معظم القصائد الشعرية إذ أن الترحال يكون من مكان إلى آخر.

ويقول بن عبيد:

(سِرتَا)فَرَشتُ علَى رُباكِ مَتاعبِي		وملَابسِي فِي رِحلتِي الأَتْعَابُ

أهْواكِ .. فِي حُبِّيكِ أبْحثُ عَن دَمِي		دُونِي ودُونَكِ نَخلةٌ.. وعُبابُ

صُوفِيةُ العَينَينِ(سِرتَا)خَانَنِي		فيكِ الحَنينُ ومَا عَليّ عتِابُ

(سِرتَا) ويَعتَصِرُ (الأميرُ) جَوارحِي		وتُضِيءُ لِي مِن ضَوئِه الأهْدَابُ[1]

حيث تناول المكان وهي سرتا (قسنطينة) التي سخر فيها كل متاعبه وأخذ أغراضه كلها في رحلته ، وبعدها عبر عن خيانة الحنين الذي جعله لا يحن إلى سرتا ، فإن مدينة سرتا بالنسبة له رمز للحلم الذي سيستيقظ منه.

ويقول أيضا :

نَذرتُ تَورطَه للفناءْ

لَو لَنَا مَعبرٌ للجَنوبِ

بَعيدًا عَن الأرضِّ

كنَّا اعْتلَينَا مَنابِعنَا

---

[1] -ياسين بن عبيد ،أهديك أحزاني ،ص16،17.

وانسَحَبنَا

لأَخر مَن يَرفضُ اللَّيلَ مُستويًا فِي لِثام الشِتاءْ[1]

ومن هذا يبين لنا الشاعر أنه سلك طريقا آخر غير طريق الأرض ، أي بعيد عنها و هذا دال على علوه من خلال تغنيه وتمسكه بالعقيدة الإسلامية.

وتحدث عن المكان أيضا في قوله:

لِنخلِ تلكَ الصَحَارِي أنتِ آيِلَة   نَجوَى ويكبرُ فِي أحضَانكِ السَّفرُ

هنَا أنَا ولِوجهِي صُورة غَربَت   بَينَ الأشِعةِ يُغرِينِي بهَا السَهُر[2]

حيث تحدث في هذا البيت عن الواحة التي امتطاها رحلة له، والتي يحضر الناس إليها ومع حلول الظلام تبدأ فترة السهر على أشعة النار ، فإن الواحة تدل أو ترمز للسكينة و الهدوء والسمر .

ويقول أيضا :

يَا رضِيعَ السَّحابِ دونَكَ شمسًا   استَحمتْ يَدِي بِها و لِسانِي

اشرِب الضَوءَ مِن يديهَا نخِيلاً   وقَوافِي تَنهَدت ببَنانِي[3]

إن هذا الضوء لا تحتويه ساعة من ساعات الليل حيث أن مصدره الدائم والأبدي هو الشمس .

---

[1] –ياسين بن عبيد : معلقات على أستار الروح،ص42.

[2] –ياسين بن عبيد :غنائية آخر التيه،ص50.

[3] –المصدر نفسه:ص90.

وفي محاولة أخرى حيث يجد نفسه يحس بالوحدة فيقول:

إنِّي أهَاجرُ مِن ضَوئِي إلَى شَهبِ   حَيرَى وأَحملُ دربِي فِي يَدِي شَررُ

معِي صبايَ أجُوبُ اللَّيلَ مبتئسًا   خلفَ الأمَانِي صِبايَ الغُضِ ينهَمِرُ [1]

فهنا الشاعر يبحث عن الضوء في الليل من خلال الشهاب فيضل طريقه وأحلامه كلها تزول وأمانيه يلفها الظلام فيشعر بالوحدة .

ومن الرموز التاريخية التي وظفت والتي توحي بالمكان نجد أنه وظف مدينة يثرب وهذا ليجعل الهجرة منها لا إليها ويقول :

وهَاجرَ إليهَا يَثرِبيَا فإنَّها   تُغالب بَوحًا خانَها فتكلمَا

حيث أنه هنا نجده يهاجر إلى يثرب وهذا من خلال رؤيته إلى من حوله .

وكذلك وظف مدينة لبنان والتي اعتبرها متكأ الراحلين فشد الرحال إليها :

كَانتْ هناَ يا جِراحِي .. بوحُ ذاكرةٍ   تَضرمتْ وشَظَايَا العُمِر ترتَجِفُ

فقيلَ لّي إنَّ فِي لُبنانِ مُتكأُ   للرَاحِلينَ علَى أوجَاعَها وقَفُوا ![2]

---

(1) –ياسين بن عبيد : غنائية آخر التيه ،ص48.

(2) –المصدر نفسه،ص108.

ثالثا : الخصائص الأسلوبية لشعر الرحلة الصوفية :

إن من أبرز الخصائص الأسلوبية لشعر الرحلة الصوفية عند ياسين بن عبيد التي لفتت انتباهنا هي اللغة والصورة والموسيقى .

1-اللغة :

تعد اللغة الركن الأساس في بناء أي عمل أدبي سواء أكان شعراً أم نثراً فإن أي شاعر تكمن مهارته في استعماله لألفاظه الدقيقة في بناء وحدته الفنية .[1]

فاللغة ترتكز على دراسة التفكير البشري بناء على الرموز اللغوية التي يستطيع العقل تشكيلها، ومع ذلك فإن الأديب يتعامل مع اللغة بوصفها تراكيب وكذلك بوصفها مفردات وهذا ما سأتطرق إليه :

أ-اللفظ :

باعتبار اللفظ هو الأساس في بناء القصيدة ؛ فاللفظ هو مجموعة من الأصوات التي تحدثها الحروف على نحو منسجم .[2]

فاللفظ يعطي أشكالا للقصيدة تمنحها سلاسة وسهولة وجمالا يجعلها تؤدي المعنى المطلوب إذ أن لكل شاعر أسلوبه وطريقته في اختيار الألفاظ و التعبير عما يجول في نفسه من أحاسيس ومشاعر وتجارب عاشها .

---

[1] -ينظر:هادي الحمداني : في شعر المتنبي ، مجلة الجامعة المستنسرية ،ع4، 1974،ص103.

[2] -محمد شحادة تيم: مفهوم الأخلاق في الشعر العربي ،كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ، السعودية،1994،ص516.

وفي شعر بن عبيد من خلال دراسته للرحلة نجده تناول في مجموعاته الشعرية مواضيع تتضح في نفسه أنها كانت تحن وتشتاق إلى وطنها وتحزن عليه وروحه التي تعشق هذا الوطن.

فابن عبيد قد أشار إلى رحلاته في بعض قصائده من خلال استعماله لبعض الألفاظ و المفردات الدالة على ذلك و هذا ما سنجده في قصيدة " قبلة على جبين القمر الأخضر" في قوله:

دَربِي ودَربُكَ غيمَة وشِهابُ   وقَصِيدَة فَجرِيةٌ وخِطَابُ[1]

ويقصد في قوله هذا أنه هو و رفيقه لهما الأهداف نفسها و الطموحات (الإحساس) وأنه كان مسافرا في الأحلام في قوله:

إنِّي إليْكَ علَى الرُموشِ مُسافِرٌ   ضَاقتْ ببَوحِي تُربةٌ ورِحَابُ[2]

وهذا يدل على اعترافه بأنه يسافر في الأحلام كما كان يحب وطنه ويحن إليه و ذلك في قوله:

وَطنِي

فِي جَبينكَ منْفَاي

مَا عُدتُ أبحَثُ لِي عَن وَطَن

كُلُ هذِي الجِهاتِ

---

(1) –ياسين بن عبيد:أهديك أحزاني ،ص15.

(2) –المصدر نفسه،ص15.

احتواءٌ لمَا بِي

وكُلُ البِلادِ التِي لَم تَسَعنِي كَفَن

لَم يَعدْ لِي[1]

فهنا الشاعر مشتاق لوطنه.

ب-التركيب :

يعد التركيب من أهم عناصر شعر الرحلة ويتجلى في قسمين هما : الجملة الفعلية والاسمية و الأخرى الخبرية و الإنشائية .

ب-1-الجملة الفعلية و الجملة الاسمية :

الجملة وحدة كلامية تؤدي معنى ، باعتبارها أصغر وحدة تركيبية في النص وقد تكون مركبة أو بسيطة وهذا ينطبق على نوعيها الفعلي و الاسمي.[2]

إن الجملة الفعلية تعتبر أساسا في شعر الرحلة عند بن عبيد ؛ فهي تدل عن كثرة الأحداث و استمراريتها ، فإن رحلاته كانت ينبوعا دائم التدفق من الإلهام و المشاعر و الطموحات والشوق و هذا ما سنجده في قوله:

وترحل في روحي وفي جسدي رؤى   وتشرب من مائي و ضوئي و خضرتي

---

[1] -ياسين بن عبيد: معلقات على أستار الروح،ص38.

[2] -منتصر عبد القادر الغضفري: الرحلة في شعر المتنبي،ص11.

أسِيُر إليهَا اللَّيلَ وهْجًا مُعطّرا وأكتبُ بالنارِ القديمَةِ رحلتِي[1]

فإن استخدام الأفعال المضارعة ترحل ، تشرب ، أسير ، أكتب ، تدل على الحركة كثرة الأحداث وكذلك على الترحل و الانتقال من عالم إلى عالم ومن حلم إلى حلم آخر.

كما نجده أيضا يقول في قوله:

إلَى آخِرِ الأحزَان تَحملُهَا الخُطَى ويَلبَسُ أيَامِي الهُجوُد شِتاءُ[2]

في هذا البيت يجسد غربته من خلال تعبيره عن مدى حزنه كأنه يمشي على خطى الآلام و المعاناة.

أما بالنسبة للجملة الاسمية في شعر الرحلة الدالة على الثبات وهذا من خلال قصائد الشعر الحر ، وكذلك القصائد العمودية وقد جاء على أنماط كثيرة منها الجملة الخبرية و الجملة الإنشائية كما أن الشاعر استعمل الجمل الاسمية للتعبير عن حالات الثبات ووصفها .

ويتحدث عن غربته فيقول :

بَعيدٌ فهلْ غيْمةٌ مِن بلاَدِي وهلْ وِجهَة بعدَ الطُولِ المَسيرْ [3]

من خلال هذا نجده قد استعمل الأسماء الدالة على رحلته وبعده عن وطنه وداره وأهله .

---

[1] –ياسين بن عبيد:أهديك أحزاني،ص104.

[2] –ياسين بن عبيد:معلقات على أستار الروح،ص17.

[3] –المصدر نفسه:ص23.

ونجده أيضا يقول :

أيُّ المَواجِعِ أشْهَى بَعدمَا انكَسَرتْ عَينايَّ فيِهَا .. وضَاقَت بَينَنا السُّبلُ [1]

حيث نجده استعمل الاستفهام وكذلك الأسماء والتي ترمز إلى آلامه ومواجعه التي عاشها الشاعر.

ب-2-الجملة الخبرية والإنشائية :

لقد تم ورود ذكر الرحلة في الجملة الخبرية و الإنشائية ،أما بالنسبة للجملة الخبرية فهي تحتوي على مؤكدات متنوعة في القصائد الشعرية لابن عبيد التي توحي عن تجربته .

فنجده يقول :

تَغَرَّبْ

فإنِّي إذًا انطَفأَ المَشرِقانِ

سَأبقَى أعَاودُ نَبضِي

وأسْرجُ حزْنِي

لآَخِرِ أعَصَارِنَا الجَاثِمَاتِ

علَى رَبوةِ الفَاتحينْ !!![2]

---

[1] -ياسين بن عبيد:غنائية آخر التيه،ص71.

[2] -ياسين بن عبيد:أهديك أحزاني،ص39.

حيث نجد هنا يؤكد على بقائه في الغربة رغم بعده عن وطنه والحنين إليه ودائم الإحساس به وهذا من خلال استعماله أدوات التوكيد الدالة على تجربته التي عاشها بعيدا عن وطنه .

أما بالنسبة للجملة الاسمية فقد تنوع الإنشاء في القصائد الشعرية ، كما تنوعت أغراضه البلاغية مما تقتضيه خصوصية التجربة.

وكما يقول في ذلك :

يَا أيُّها الُمغتدِي والرِيحُ مَوكِبهُ   للمُستحِيلِ وراكُ الجَمُر والتَعبُ [1]

ظاهرة النداء في البيت مقتصرة على مناداة المسافر الذي اعتبر الرياح موكبا له رغم استحالة سفره .

فللرياح دلالات متعددة فهي تعبر عن التحول والتغير كما ترتبط بالرحلة الصوفية.

2-**الصورة** :

الصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ و العبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة و التركيب و الإيقاع والمجاز ....وغيرها من وسائل التعبير الفني و الألفاظ .

[1] –ياسين بن عبيد: غنائية آخر التيه،ص101.

و العبارات هما مادتا الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صورته الشعرية .[1]

حيث نجد بن عبيد يقول :

هذَا هُو العُمُر مَا ابْيَضَت أنَامِلهُ   إلاَ لِيكتُبَ أعْراسِي ويَرتحلْ[2]

هذه صورة تضمنت في محتواها أن الشاعر يضرب بالعمر كأنه إنسان يكتب أفراحه وسعادته وبعدها يرحل .

ونجده كذلك يقول :

حَيرانٌ أحملُ مَأساتِي علَى كَتفِي   إليكَ.. لَا رَّي مِن حُلمٍ ومِن خَبرِ[3]

وهذا البيت صور لنا حيرة الشاعر حيث جعل المأساة و المعاناة كأنهما طفل محمل على كتفيه باعتبار المأساة أنها تحمل في الأيدي مثل الطفل وهذا على سبيل الاستعارة .

وكذلك يقول في قصيدته التي يتحدث فيها عن عودته من سفره :

مَا طَريقِي إليَّ غيرُ قَصيدِي   وعُبورِي إليَّ غيرُ زَمانِي

صَاغَ منِي الشَتاتُ هذِي البَقايَا   مِن فُصولِ تَوهجَت مِن كَيانِي

---

[1] –الولي محمد: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي،المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان، ط1،1990،ص19.

[2] –ياسين بن عبيد : غنائية آخر التيه ،ص37.

[3] –ياسين بن عبيد:معلقات على أستار الروح ،ص40.

أطْلقتنِي إلَى المَتاهِ يَداهَا ثُم ضَّمتْ كَضَّمِة الأُفعُوانِ[1]

هنا يصف لنا الطريق من خلال تبيان هدفه وقصده وهذا ما وضحه في الصورة التي تبين أن الفصول لا تتوهج حيث جعلها كأنها نبراس من كيانه و أحاسيسه.

ويقول أيضا :

علَى كَبدِي بلدِي

والطُيوُر التّي حَومَتْ فوقَهُ ظَماً

لَثَمتْ فِي يدِي

أثَرَ العَابرينْ ![2]

فإن الشاعر هو أحد هذا الشعب ، حيث أنه يقاسمه همومه وآلامه ، حيث إن تلك الطيور أو الشعوب تبحث عن وطن يأويها.

فالطير هنا يرمز للحرية وكذلك رمز لنزول الحكمة وارتباطه بالظمأ دليل على عدم عثوره على الحكمة ، هذا لأن الشاعر غير منسجم مع واقعه فهو رافض له.

[1] ـياسين بن عبيد : معلقات على أستار الروح،ص24.

[2] ـياسين بن عبيد: أهديك أحزاني ،ص34.

3-الموسيقى :

القصيدة بنية موسيقية ، وهذا من خلال تشكيل الشاعر لهذه البنية لاتساقها و انسجامها مع مفردات القصيدة وهذا باعتبار الإيقاع هو أهم عناصر الشعر فلا قصيدة تخلو من نمط معين من الإيقاع يميزها عن الإيقاع المعهود في النثر فهي لا تخرج عن نطاق النثر.[1]

سوف ندرس مجموعة من النماذج الشعرية لشعر الرحلة الصوفية عند ياسين بن عبيد دراسة موسيقية وهذا من خلال التمثيل بالبحور الشعرية التي هي خمسة عشر بحرا عند الخليل وستة عشر عند الأخفش.[2]

وقد توزع شعر ياسين بن عبيد بين مجموعة من البحور التي اختلفت درجة شيوعها إذ نجد البحر البسيط هو أكثر استعمالا ثم يليه البحر الطويل ، ثم تأتي البحور الأخرى .

ومن أمثلة البحر البسيط نجد مجموعة من القصائد المختارة من بعض الدواوين المتمثلة في " كالريح هي ....، كما يشتهينا الموج ، أغنية مجذوب الليل ، أهديك أحزاني وغيرها من القصائد ومن ذلك نجد البحر البسيط المتمثل في بعض الأبيات.

---

[1] -كاميليا عبد الفتاح : القصيدة العربية المعاصرة دراسة تحليلية في البنية الفنية والفكرية ، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، مصر ،دط، 2007،ص226.

[2] -ينظر: محمد بوزواوي: تاريخ العروض العربي: دار هومة،بوزريعة، الجزائر، 2002،ص21.

إنِّي المُسَافِرُ فِي عَينيكِ بَحثٌ هنَا   بالجُرحِ جُرحِي لَمْ تَضْمدْ لَه شَعبُ[1]

ومفتاح البسيط الذي يتمثل في :

إن البسيط لديه يبسط الأمل   مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن[2]

فإن هذا البحر من طبيعته متعدد التفعيلات ، وكثير المقاطع وهذا البحر لم يرد صافيا في بعض القصائد ،وإنما دخلت عليه بعض التغيرات فإن الشاعر هنا استعمل هذا البحر لأنه بحر سهل ومن خلاله أي شاعر يستطيع أن ينظم.

ومن أمثلة ذلك نجد:

نَبضُ الأَهلَةِ فِي عَينيكِ يَغَشانِي   فَمَالِي العُمرَ يَا دَقاتَ أَحْزانِي[3]

وفي قوله أيضا:

هَذَا هُو الفَاتحُ المُمتدُ مِن وهْجِ   فوقَ الخَرائطِ مُلتمًا علَى شَمَمِ[4]

لقد وردت قوافي متعددة في قصائد بن عبيد والتي اختلفت من قافية إلى أخرى و المتمثلة في اللام وكذلك الباء والقاف والنون وغيرها من القوافي التي ظهرت في القصائد.

---

(1) –ياسين بن عبيد، غنائية آخر التيه،ص101.

(2) –عيسى مومني: المنار في اللغة العربية ، دار العلوم، عنابة ، الجزائر، 2007،ص148.

(3) –ياسين بن عبيد:أهديك أحزاني،ص23.

(4) –ياسين بن عبيد: معلقات على أستار الروح،ص26.

وذلك في قوله :

تِيهِي لَك التَيهِ أحْلامٌ مُسَافرَةٌ لهَا دمِي صَهوةٌ والخَيلُ والمَطَرُ [(1)]

فهنا الشاعر قام بتكرار كلمة تيه والتي من خلالها الشاعر حيث يجد نفسه ضائع في أحلام راودته في سفره ، ومن البحور أيضا التي استعملت البحر الطويل وهو أيضا متعدد التفعيلات حيث أن طول الوزن ووفرة مقاطعه يمنحان الشاعر مزيدا من المرونة ومن أمثلة ذلك نجد :

حَملتُ رياحِي والجَنوبُ هُو الهَوَىَ غَريبينِ سِرُنَا ضَائعًا إثرَ ضَائعِ

هَوايَ الجَنوبُ الحُر وردًا تَنهّدَ الحُسَي ـنُ بِه بَاقاتُ ضَوءِ المَنابِعِ [(2)]

استعمل هذا البحر لكثرة تفعيلاته وأنه مركب ويستعمل في الشعر العمودي لهذا اعتمده بن عبيد من خلال رحلته في بعض قصائده.

وفي الأخير نستنتج أن الرحلة الصوفية هي أساس التجربة الصوفية فأطلق على الرحلة عدة اصطلاحات هي السفر ،الطريق ،الاغتراب ...

فكان لها دور أساسي في شعر ياسين بن عبيد من خلال الخصائص والجماليات التي توفرت في شعره .

[(1)] –ياسين بن عبيد:غنائية آخر التيه،ص50.

[(2)] –المصدر نفسه :ص59.

خاتمة

وفي نهاية هذه الدراسة لشعر الرحلة لياسين بن عبيد تم تسجيل أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة :

- التصوف باعتباره رعاية حسن الأدب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة .
- الأدب الصوفي هو أدب يوحد بين هدفين ؛ هدف التعبير وهدف المعرفة .
- التجربة الصوفية هي تجربة شعورية حيث تستمد طاقتها من فعالية الرمز .
- الرموز الصوفية سجلت حضورا مكثفا في دواوين بن عبيد ، حيث تعددت بشكل أكسبها المتعة .
- مثلت الموسيقى عنصرا هاما في دواوينه ، حيث نوع في قصائده بين البحور والقوافي والتي مثلتها الحالة النفسية للشاعر .
- إن القصائد في دواوين ياسين بن عبيد تبين التجربة الشعرية الصوفية في الأدب العربي المعاصر .
- يلجأ الشاعر الصوفي المعاصر إلى استخدام لغة الرموز من أجل التعبير لحبه لله تعالى وهذا ما نجده عند ياسين بن عبيد .
- استعمل بن عبيد رموز الطبيعة وذلك لتبيين دلالتها في الشعر الصوفي .
- اعتبار الصورة شكل فني التي تتخذه الألفاظ بعد أن ينظمها الشاعر .
- اللغة الصوفية في شعر ياسين بن عبيد كان لها دور أساسي من خلال أشعاره .
- تغني بن عبيد بالعقيدة الإسلامية التي غابت قيمها في عالمنا المادي الذي أصبح فيه الإنسان مجرد رقم أو شيء من الأشياء الجامدة التي لا إحساس لها .

ملحق

نبذة عن الشاعر :

ولد الشاعر ياسين بن عبيد عام 1958م بقرية ماوكلان ، دائرة بوقاعة ولاية سطيف ، نشأ في مدينة برج زمورة .

-أستاذ مساعد بجامعة سطيف .

-عضو فريق بحث في معهد اللغات والحضارات الشرقية في باريس.

-ليسانس آداب من جامعة سطيف / الجزائر (1995).

شهادة الدراسات المعمقة D E A من معهد اللغات والحضارات الشرقية I N A L C O بباريس / فرنسا (2003/2002).

-ماجستير آداب من جامعة سطيف (2004/2003).

-مسجل للدكتوراه في النقد المعاصر ، بمعهد اللغات و الحضارات الشرقية (باريس).

صدر له :

-الوهج العذري –شعر- 1995.

-أهديك أحزاني –شعر-2000.

-معلقات على أستار الروح –شعر-2003.

-غنائية آخر التيه –شعر-2007.

-الحلاج شاعرا(دراسة في سيرته الفكرية وإنتاجه الشعري).

-الشعر الصوفي المعاصر في الجزائر (بالفرنسية).

-الشعرية الصوفية (المفاهيم والانجازات / عمر أبو حفص نموذجا).

-عشرات المقالات في النقد النظري و التطبيقي منشورة في الصحف الوطنية (المساء-الشعب-النصر-الشروق-الخبر) ، والعربية (المشكاة " المغرب ").

-علامات في النقد الأدبي " السعودية " -الكويت " الكويت " -الفينيق " الأردن "...).[1]

---

[1]-ياسين بن عبيد : غنائية آخر التيه ، منشورات ارستيستيك ، الجزائر ، ط1، 2007،ص6.

قائـمة المصادر و المراجع

المصادر :

-ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ،مج9.مادة(ص ، و ،ف).

-الفيروز آبادي: المحيط، مؤسسة الرسالة، ط8،2005.

-ابن خلدون : المقدمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1993،1.

-ادونيس : تحولات العاشق ، المجموعة الكاملة .

-الزمخشري : أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ج1 ،1998.

-صلاح عبد الصبور: حياتي في الشعر، دار العودة، بيروت، لبنان، مج1977،3.

-صلاح عبد الصبور: الناس في بلادي، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1،1972.

-عثمان لوصيف: الإرهاصات، دار هومة للنشر،الجزائر،1997.

-مصطفى الغماري: بوح في موسم الأسرار، لافوميك، الجزائر،1985.

-النفري: المواقف، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، مصر،1934.

الدواوين :

-ياسين بن عبيد:أهديك أحزاني، المطبوعات الجمياة،الجزائر، ط1،1998.

-ياسين بن عبيد:غنائية آخر التيه، منشورات أرستستيك،الجزائر،ط1،2007.

-ياسين بن عبيد:معلقات على أستار الروح، منشورات دار الكتاب، الجزائر،2003.

المراجع:

-أدونيس:الصوفية والسريالية، دار الساقي،بيروت، لبنان، ط2،1995.

-آنا ماري شيمل:الأبعاد الصوفية في الإسلام و تاريخ التصوف،منشورات الجمل،ألمانيا،ط1،2006.

-ابراهيم محمد منصور:الشعر و التصوف،الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر،دار الأمين،1945-1995.

-جان شوفليي:التصوف و المتصوفة،افريقيا الشرق،بيروت، لبنان،1999.

-حسن الشرقاوي:معجم ألفاظ الصوفية، مؤسسة مختار،القاهرة، مصر،ط1،1987..

-سالم عبد الرازق سليمان المصري:شعر التصوف في الأندلس، دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية،دط،2007.

-السعيد بوسقطة:الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر،منشورات بوبة،الجزائر،ط2،2008.

-صابر طعيمة : الصوفية ، كلية أصول الدين ، الرياض ،ط1،1985.

-الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر ، دار الهدى ، عين مليلة ،الجزائر ، ط1،2004.

-عبد الحميد هيمة : الخطاب الصوفي وآليات التحويل ، موفم للنشر ، الجزائر ، دط،2008.

-عبد المنعم الحفني : معجم مصطلحات الصوفية ، دار المسيرة ، بيروت ، لبنان ، ط2،1987.

-عبد المنعم الحفني : الموسوعة الصوفية، دار الرشاد ، ط1،1992.

-عبد القادر فيدوح : الرؤيا والتأويل ، مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة ،دار الوصال، ط1، 1994.

-عدنان حسين العوادي : الشعر الصوفي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق، دط،1986.

-عدنان حسين قاسم: الإبداع ومصادره الثقافية والفنية عند أدونيس ، الدار العالمية ، مصر .

عرفان عبد الحميد فتاح : نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان، ط1،1993.

-علي أحمد عبد الهادي الخطيب : في رياض الأدب الصوفي ، دار نهضة الشرق ، الإسكندرية ، مصر ، د1،2001.

-علي الخطيب : اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وبن عربي ، دار المعارف ،القاهرة ، مصر .

-عمر أحمد بوقرورة : دراسات في الشعر الجزائري المعاصر ، دار الهدى ، الجزائر ،2004.

-عمر فروخ : التصوف في الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1981.

-عيسى مومني : المنار في اللغة العربية ، دار العلوم ، عنابة ، الجزائر ، 2007.

-فيصل بديع عون : التصوف الإسلامي ، مكتبة سعيد رأفت ، مصر ، دط،1983.

-كارل بروكل مان : تاريخ الأدب العربي ، الهيئة المصرية ،1993.

-كاميليا عبد الفتاح : القصيدة العربية المعاصرة ، دراسة تحليلية في البنية الفنية والفكرية دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 2007.

-ماسينيون و مصطفى عبد الرزاق : التصوف ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان ،ط1،1984.

-محمد بوزواوي : تاريخ العروض العربي ، دار هومة ، بوزريعة ، الجزائر،2002.

-محمد عبد المنعم خفاجي : مدارس النقد الأدبي الحديث ،الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط2،2003.

-محمد كعوان : التأويل وخطاب الرمز ، قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر ، دار بهاء الدين ، قسنطينة ، الجزائر ،ط1،2010.

-منتصر عبد القادر الغضفري : الرحلة في شعر المتنبي ، دار مجدلاوي ، عمان ، الأردن ، ط1،2011.

-الولي محمد : الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي و النقدي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1،.1990

-يوسف زيدان : المتواليات دراسة في التصوف ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر ، د1 ، 1998.

الرسائل الجامعية والمجلات :

-حلمي عبد الله حسين عدوي ، ألفاظ المتصوفة ، دراسة دلالية في أعمال ابن عربي النثرية والشعرية ، مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية ، أ/ يحي جبر ، قسم اللغة العربية ، جامعة النجاح الوطنية .

-سلام كاظم الأوسي : التجربة الصوفية ، دراسة في الشعرية العربية المعاصرة ، كلية الآداب ، جامعة القادسية ، .

-فلاح بن إسماعيل بن أحمد : العلاقة بين التشيع و التصوف ، رسالة مقدمة لنيل درجة العامية الدكتوراه ، أ/عبد بن محمد الغنيمان ، شعبة العقيدة ، قسم الدراسات العليا ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، السعودية.

-محمد شحادة تيم : مفهوم الأخلاق ، الشعر العربي ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، السعودية .

-محمد عباسة : مجلة حوليات التراث ، كلية الآداب والفنون ، جامعة مستغانم ،ع10، الجزائر، 2010.

-هادي الحمداني : في شعر المتنبي ، مجلة الجامعة المستنصرية ، ع4،1974.

فهرس الموضوعــات

الموضوعات	الصفحة

ملخص :

إن التجربة الصوفية ارتبطت بالشعر العربي المعاصر ارتباطا وثيقا وذلك لنفور الشعراء من الواقع المرير والبحث عن الاستقرار الروحاني .

والتصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع عن العمل والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها .

وتكمن خصائص الرحلة الصوفية في اللغة والصورة والموسيقى ومن أبرز دوافعها الشعور بالغربة والحنين والهجرة.

Summary

The mystical experience related closely to the contemporary arabic poetry because the poets turned away from their bad reality to search for spiritual stability

Mysticism is getting down in worship and stop working and turning away from enjojing life

Mysticism is specialised in language image and music and its most principal reasons are immigration and desire.